Journal Of the Iraqia University (74-5) September (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

الأسس القرآنية لقانون التوازن (دراسة تحليلية)

أحمد سالم محمد

جامعة قم/ كلية الالهيات والمعارف الإسلامية/ قسم علوم القرآن والحديث

المشرف: الدكتور سيد رضا مؤدب

أستاذ مساعد في جامعة قم

The Quranic Foundations of the Law of Balance (An Analytical Study)

Ahmedgafary398@gmail.com
Prepared by:
Ahmed Salem Muhammad
University of Qom / Faculty of Theology and Islamic Studies / Department of Qur'anic and Hadith Sciences
Reza@moaddab.ir
Supervisor:
Dr. Seyyed Reza Moadab
Assistant Professor at Qom University

المستلخص:

يُعد التوازن من أهم القوانين الكونية في الحياة، إذن من خلاله يتم تحقيق السعادة والاستقرار على كافة مستويات الحياة الكونية والعلاقات المجتمعية والاعتقادية منها، فهي الأساس في كثير من جوانب الحياة، وعدم تطبيق هذا القانون في كل هذه المفاصل من الحياة يؤدي ذلك إلى الافراط او التفريط، فيختل النظام العام وكذلك نظام المجتمع، وقد أولى القرآن الكريم أهمية كبرى لهذا القانون، حيث ركزت جملة من آياته الكريمة على هذا المبدأ، بإعتباره ركيزة في حفظ الحياة وتوازنها واعتدالها.وتتناول هذه الدراسة موضوع الأسس القرآنية لقانون التوازن، بوصفه أحد القوانين الكونية والسننية التي أكد عليها القرآن الكريم في مجالات الخلق والهداية والتشريع. فقد جاء الخطاب القرآني ليبرز التوازن باعتباره قاعدة أساسية في نظام الكون والإنسان والمجتمع، مما يعكس حكمة الخالق وعدله.اعتمد البحث على المنهج التحليلي في استقراء النصوص القرآنية ذات الصلة، للكشف عن الأسس التي يقوم عليها قانون التوازن. ومن أبرز هذه الأسس: التوازن العلمي في الخلق الكوني (كالتوازن في خلق الأرض والسماء، والقوانين الإلهية الثابتة، والميزان الكوني)، والتوازن الأخلاقي (في العلاقة مع النفس و التوان مع المجتمع والتوازن في العلاقة مع الله تعالى)، والتوازن الكلامي في أصول العقيدة (التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد). وقد خلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم لا يطرح مبدأ التوازن مجرد قيمة أخلاقية أو فلسفية، بل يجعله قانونًا عامًا وسنة إلهية ثابتة تسري في جميع مستويات الوجود الخلق والمخلوق والعلاقات بين المخلوقين، وتشكل مرجعًا أساسًا لفهم سنن الله في الكون والحياة.**الكلمات المفتاحية:** قانون التوازن، الأسس القرآنية، القرآن الكريم، البعد العلمي، البعد الكلامي، البعد الأخلاقي

Abstract:

Balance is considered one of the most important universal laws in life, as it enables the achievement of happiness and stability across all levels of existence, including cosmic life, social relations, and matters of belief. It constitutes a fundamental principle in many aspects of life, and the failure to apply this law in these critical areas leads to excess or deficiency, disrupting both the general order and the social system. The Holy Quran gives great importance to this law, emphasizing it in numerous verses as a cornerstone for preserving life, maintaining its

balance, and ensuring moderation.This study addresses the Quranic foundations of the Law of Balance, regarding it as one of the cosmic and divine laws affirmed in the Quran in the realms of creation, guidance, and legislation. The Quranic discourse highlights balance as a fundamental principle in the system of the universe, human beings, and society, reflecting the wisdom and justice of the Creator.The research employs an analytical method to examine the relevant Quranic texts and uncover the foundations upon which the Law of Balance rests. The most prominent of these foundations include: scientific balance in cosmic creation (such as the balance in the creation of the earth and the heavens, fixed divine laws, and the cosmic scale), ethical balance (in the relationship with oneself, society, and God Almighty), and theological balance in the fundamentals of faith (including monotheism, divine justice, prophecy, Imamate, and the Hereafter).The study concludes that the Quran does not present the principle of balance merely as a moral or philosophical value, but rather establishes it as a universal law and a fixed divine sunna that operates across all levels of existence—creation, creatures, and the relationships among them—forming a primary reference for understanding God's laws in the universe and in life.**Keywords**: Law of Balance, Quranic Foundations, Holy Quran, Scientific Dimension, Theological Dimension, Ethical Dimension

المقدمة

لقد أتى القرآن الكريم بمنهج متكامل، يرسم للإنسان طريق الهداية والفلاح، ويؤسس لقوانين عامّة تضبط حركة الحياة وتوجّهها نحو الكمال. ومن بين هذه القوانين الإلهية الجامعة يبرز قانون التوازن، الذي يُعدّ من أعمق مظاهر الإعجاز التشريعي والتربوي في الكتاب العزيز، حيث يقوم على مراعاة العدل والاعتدال والتكامل بين حاجات الروح والجسد، والفرد والمجتمع، والدنيا والآخرة.فالإنسان في الرؤية القرآنية ليس كائناً مادياً محضاً ولا روحياً صرفاً، بل هو مخلوق مركّب، يتطلّب السير وفق منهج يوازن بين مختلف أبعاد وجوده، حتى لا يطغى جانب على آخر. ولذا جاءت الآيات لتؤكد على الوسطية، والاعتدال، والعدل، باعتبارها أسساً راسخة لهذا القانون، كما إن قانون التوازن من أبرز السنن الإلهية التي أكد عليها القرآن الكريم، حيث يشكّل أساسًا متينًا لتنظيم حياة الإنسان وضبط سلوكه، وقد تضمن الكتاب العزيز جملة من الآيات التي تُبرز هذا المبدأ، وتُرسي قواعده في مختلف مجالات الحياة، لتجعل من التوازن منهجًا ربانيًا يُحافظ على الاعتدال ويمنع الإفراط والتفريط. ومن هنا تأتي أهمية الوقوف عند الأسس القرآنية لقانون التوازن، باعتبارها المدخل الرئيس لفهم أبعاده التربوية والفكرية، وخلال هذا البحث سنتطرق إلى أسس قانون التوازن التي جاءت في القرآن الكريم.

أهمية الموضوع: يمثل قانون التوازن أحد المبادئ الجوهرية التي يؤكد عليها القرآن الكريم في تنظيم الكون وحياة الإنسان والمجتمع. فقد خصّ القرآن الكريم هذا القانون بالذكر في آيات عديدة، باعتباره ركيزة للحكمة الإلهية في الخلق والتشريع، ووسيلة لضمان الاعتدال في كافة مناحي الحياة. فالتوازن القرآني ليس مجرد مفهوم نظري، بل هو قانون شامل يحكم العلاقات بين الكائنات، ويحقق الاستقرار الاجتماعي والنفسي والكوني.من منظور قرآني، تأتي أهمية دراسة هذا القانون في أمور مختلفة منها: الاعتراف بحكمة الخالق وعدله: فالقرآن يعرض التوازن كدليل على القدرة الإلهية في خلق نظام منسجم يحفظ الحقوق والواجبات، ويضمن عدل الله في كل ما يقدّره. كذلك ضمان الاستقرار الكوني والكوني–الإنساني: فالآيات القرآنية تشير إلى سنن ثابتة تحكم حركة الأجرام، وتعاقب الليل والنهار، ودقة المقادير في الخلق البشري.تأصيل الاعتدال في حياة الإنسان والمجتمع: إذ يرشد القرآن إلى التوازن الأخلاقي والسلوكي بين الخوف والرجاء، الزهد وعمارة الأرض، والاعتدال في الحقوق والواجبات، مما يجعل الإنسان والمجتمع أكثر استقرارًا واستدامة. وأساس لفهم السنن الإلهية في الكون والحياة: دراسة هذا القانون تمكن الإنسان من إدراك حكمة الله في التشريع والخلق، وتطبيق المبادئ القرآنية في حياته اليومية بشكل متوازن وصحيح.بالتالي، فإن التركيز على الأسس القرآنية لقانون التوازن يعد ضرورة لفهم النظام الكوني والأخلاقي والتشريعي، ويعكس العمق العلمي والأخلاقي الذي ينبني عليه القرآن الكريم.أسئلة البحث:نظراً لأهمية موضوع التوازن في تحقيق العدالة والسعادة وتحقيق الأهداف، وبما أنه حظي بعناية قرآنية واسعة، تسعى هذه الدراسة للإجابة عن مجموعة من الأسئلة المركزية، وهي: ما هو مفهوم الاساس كما ورد في القرآن الكريم؟ ما هي الأسس القرآنية التي يقوم عليها قانون التوازن؟ كيف يظهر التوازن في خلق الكون وفق النصوص القرآنية؟ ما هو دور التوازن في العلاقات الإنسانية والأخلاقية وفق القرآن؟كيف يتجلى التوازن الكلامي في أصول العقيدة مثل التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد؟ ما العلاقة بين السنن الإلهية والتوازن القرآني في مستويات الخلق والمخلوقات؟ ما أثر فهم قانون التوازن على إدراك الإنسان لـ حكمة الله وعدله في الكون والحياة.منهجية البحث:في هذه الدراسة اعتمد البحث في بيان الأسس القرآنية لقانون التوازن على المنهج التحليلي للنصوص القرآنية، حيث تم استقراء الآيات المتعلقة بمفهوم التوازن، وتفسيرها ضمن سياقها القرآني، مع التركيز على الأبعاد المختلفة: القرآنية، العلمية، الأخلاقية، والكلامية، وتتمثل خطوات المنهجية في: جمع النصوص القرآنية ذات الصلة، فقد تم تحديد الآيات التي تتناول التوازن، سواء في الخلق، أو في التشريع، أو في الأخلاق، أو في العقيدة، كذلك تحليل النصوص وتفسيرها و دراسة المفاهيم القرآنية المرتبطة بالتوازن، وربطها بسياقها الكوني

والاجتماعي. وايضاً ترتيب الأسس المكتشفة ضمن أبعادها المختلفة: البعد العلمي، البعد الأخلاقي، والبعد الكلامي. استخلاص النتائج والتوصيات وتقديم خلاصة تحليلية شاملة توضح أهمية قانون التوازن وعمق تطبيقاته في الكون والمجتمع والعقيدة.خلفية الدراسات السابقة:شهد موضوع قانون التوازن إهتماماً في الأوساط العلمية، سواء من جانب الباحثين في العلوم الاجتماعية او من جانب المتخصصين في الدراسات القرآنية، وجاءت هذه الدراسات لتؤكد أهمية موضوع التوازن.ومن بين هذه الدراسات، قانون التوازن في القرآن الكريم: دراسة تفسيرية، للباحثة فاطمة الشاوي، تُركِّز هذه الدراسة على استقراء الآيات القرآنية التي تتناول مفهوم التوازن، وتُحلِّلها من منظور تفسير القرآن، مُبيِّنَةً كيف يُعبِّر القرآن عن التوازن في مختلف جوانب الحياة.التوازن في ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه وأسلوبه، للباحث عماد الزقيلي، تتناول هذه الأطروحة التوازن في اللغة والتركيب والأسلوب القرآني، مُحلِّلةً التوازن في الألفاظ، التراكيب، والأسلوب القرآني، ومُبيِّنَةً كيف يُساهم ذلك في إيصال المعاني بدقة وفاعلية.التوازن بين الحاجات الروحية والمادية في القرآن، للباحث عبد السلام اليحصبي، تُركِّز هذه الدراسة على كيفية تحقيق التوازن بين الجوانب الروحية والمادية في حياة الإنسان وفقًا لتوجيهات القرآن الكريم، مُبيِّنَةً أهمية هذا التوازن في تحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي في الحياة.

المطلب الأول: الأساس العلمي

للوقوف على مفردة الأساس لابد من بيان معناهاجاء في لسان العرب لابن منظور: الأساس ما يُبنى عليه غيره، وجمعه أُسُس وأَسَاسات، وأَساس كل شيء قاعدته التي يقوم عليها. (لسان العرب، ج٦،ص٦)ولفظ الأساس وإن لم يرد بصيغته الصريحة في القرآن الكريم، إلا أنّ معناه حاضر في دلالات بعض الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩] فهنا جاءت كلمة الأساس ليربط بها القرآن بين الأساس والتقوى بإعتبارها الركيزة التي يقوم عليها إيمان الفرد، يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: "الأساس هو ما يقوم عليه البناء، وقد جعل القرآن أساس البنيان الروحي هو التقوى والرضوان، وأساس البنيان المنحرف هو الجرف الهار الذي لا ثبات له" ينظر:(الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٩،ص٣٩١) وذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: "الآية تشير إلى أن البناء الحقيقي إنما يُقام على أساس راسخ من الإيمان والعمل الصالح، وإلا فهو بناء آيل للسقوط مهما بدا ظاهره قوياً" ينظر:(الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٦،ص٢٢١ وعليه نستطيع القول إن الأساس في الاصطلاح القرآني عند المفسرين هو: القاعدة أو الركيزة التي يُبنى عليها الدين والإيمان والأعمال، بحيث يكون البناء ثابتاً ومحصناً من الانهيار والانجراف. يوجد في القرآن الكريم أساس علمي قرآني واضح ومتكرر لقانون التوازن، ويتجلى في الربط بين السنن الإلهية في الكون والضبط الدقيق لكل مكونات الحياة، من ماء وهواء وفضاء وخلق الإنسان. وهذا الأساس يظهر جلياً في كثير من آيات الإعجاز العلمي

المبحث الأول: السنن الإلهية والقوانين الثابتة

اَلسُّنَّةُ في اللغة: الطريقة والسيرة والجمع سُنَنٌ كغرفة وغرف مجمع البحرين، ج٦– ص٢٦٨ السنة هي الطريقة المعمولة التي تجري بطبعها غالبا أو دائما الطباطبائي، الميزان :ج ١٦ – ص٣٤٠القرآن يقرّر أن الكون تحكمه سنن علمية محكمة، وهذه السنن تسير وفق مبدأ التوازن، إذ بها يتحقق الاستقرار في الكون، والاعتدال في الطبيعة، والانسجام في حياة الإنسان والمجتمع، وإذا رفعت هذه السنن ستتأثر جميع هذه الأشياء سلبا، إذ إن توازنها سيختل ويخلف عدم الاستقرار وعدم الاعتدال، قال تعالى:﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾(الفتح: ٢٣)(فهذا هو قانون إلهي دائم، فمتى واجه المؤمنون العدوّ بنيّات خالصة و قلوب طاهرة و لم يضعفوا في أمر الجهاد نصرهم الله على عدوّهم، و ربّما حدث في هذا الشأن إبطاء أو تعجيل لامتحان المؤمنين أو لأهداف أخرى، و لكنّ النصر النهائي على كل حال هو حليف المؤمنين.الشيرازي، الأمثل ج١٦– ص٤٧٥سُنَّةَ اَللهِ اَلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ في نصرة أنبيائه والمؤمنين معهم إذا أخذوا بأسباب النَّصر، واعتمدوا وسائله، وتحرَّكوا في اتِّجاهه من موقع الإخلاص له، والطَّاعة لرسوله في مواقع القيادة أو في مواقع النُّبوَّة، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اَللهِ تَبْدِيلاً؛ لأنَّ السُّنن الكونيَّة الإلهيَّة الَّتي تحكم حركة المجتمعات وبقاءَها، ليست خاضعةً للظُّروف الطَّارئة والتَّغيُّرات الَّتي تحدث للزَّمان والمكان، بل هي ثابتةٌ من ثوابت التَّقدير الإلهيّ في نظام الكون كلِّه.المدرسي، من هدى القران – ج ١٧ – ٢٦ وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب:٦٢) (فاطر:٤٣) ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾فالأمور لا تمضي في الناس جزافا؛ و الحياة لا تجري في الأرض عبثا؛ فهناك نواميس ثابتة تتحقق، لا تتبدل و لا تتحول. و القرآن يقرر هذه الحقيقة، و يعلمها للناس، كيلا ينظروا الأحداث فرادى، و لايعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصيلة، محصورين في فترة قصيرة من الزمان، و حيز محدود من المكان.و يرفع تصورهم لارتباطات الحياة، و سنن الوجود، فيوجههم دائما إلى ثبات السنن و اطراد النواميس. و يوجه أنظارهم إلى مصداق هذا فيما وقع للأجيال قبلهم؛ و دلالة ذلك الماضي على ثبات السنن و اطراد النواميس.الشاذلي، سيد قطب ،ج ٥ – ص ٢٥٠يستفاد من مجموع هذه الآيات جيّدا أنّ المراد من السنّة في مثل هذه الموارد القوانين الإلهيّة الثابتة

و الأساسية، سواء التكوينية منها أم التشريعية، التي لا تتغيّر مطلقا.و بتعبير آخر: فإنّ لله سبحانه في عالم التكوين والتشريع قوانين و أصولا ثابتة، كالقوانين الأساسية و الدساتير المسنونة بين شعوب العالم والتي لا تتبدّل، و لا تكون عرضة للتغيير، و هذه القوانين الإلهية كانت حاكمة على الأقوام الماضين، وتحكّمنا اليوم، وستكون حاكمة في المستقبل على الأجيال الآتية الشيرازي ، الأمثل – ج١٣ – ص٣٥٦فهذه السنن الكونية التي جعلها الله دعائم يقوم عليها هذا النظام، و قد وقف على بعضها الإنسان عبر حياته، و هناك سنن كونية ربما لا يقف عليها الإنسان إلاّ عن طريق الوحي (سبحانى تبريزى ١٤٢١)مفاهيم القران , سبحاني ج١٠ –ص٦٠

المبحث الثاني: التوازن البيئي في خلق الأرض

يمثل التوازن في خلق الأرض أحد أبرز مظاهر النظام الإلهي في الكون، حيث جعلها الله تعالى مهيأة لاستقرار الإنسان وحياته، وجعل فيها من الخصائص ما يحقق الاعتدال في المناخ، والجاذبية، وتوزيع المياه والجبال والموارد الطبيعية، والقرآن الكريم يؤكد أن خلق الأرض قائم على نظام دقيق، وتوازن محكم، بحيث تكون صالحة لحياة الإنسان ومناسبة لاستمرار العمران فيها على طول الأزمنة، قال تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ((غافر:٦٤)فالأرض ليست مجرد كتلة مادية بحته، بل هي مهيأة بخصائص دقيقة ومتوازنة لحفظ الحياة على سطحها، وهذا التوازن نجده في كثير من الصور ومنها:

١- التوازن في الموقع والبعد عن الشمس: بحيث يسمح بدرجة حرارة مناسبة للحياة، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ يس :٣٨ أنّ تعبير الآية يشير إلى نظام السنّة الشمسية الناشئ عن حركة الشمس عبر الأبراج المختلفة، ذلك النظام الذي يعطي لحياة الإنسان نظاما و برنامجا معيّنا يؤدّي إلى تنظيم حياته من مختلف النواحي الشيرازي : الأمثل ، ج١٤ – ص ١٨٥ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (إبراهيم:٣٣)(لا ينقطعان عن الحركة في النِّظام الكونيّ الَّذي يؤمِّن الشُّروط الطَّبيعيَّة لبقاء الحياة على الأرض وفي الجوّ، من خلال هذين الكوكبين اللَّذين يتدخَّلان في نظامها المتقن البديع، في أكثر من سرٍّ في حركة الحياة في الكون.

فضل الله، من وحي القرآن ج١٠ – ١٤٠هذه الآيات تدل على أن للشمس نظامًا دقيقًا في جريانها وبعدها، بحيث تُنتج حرارة وضوءًا بقدر متوازن، يحفظ الحياة على الأرض من الهلاك، فهي لا تقترب كثيرًا فتحترق الأرض، ولا تبتعد كثيرًا فتموت الحياة بالبرودة، وهذا التوازن في خلق الشمس.

٢- التوازن في الجاذبية وطبقاتها: وهذا التوازن الذي يمكّن الكائنات من الاستقرار ويضبط حركة المياه والهواء والحياة بشكل عام على الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (الأنبياء:٣١)

أي أن الجبال تحفظ توازن القشرة الأرضية هذه الآيات تشير إلى أن الأرض مُعدّة بطريقة موزونة تحفظ توازنها البيئي والجيولوجي، يقول صاحب تفسير من وحي القرآن: (والرَّواسي هي الجبال الَّتي تحفظ توازن الأرض واستقرارها، ممَّا قد تختلف طبيعته، فقد يكون من خلال التَّوازن بين الضَّغط الخارجيّ على الأرض والضَّغط الدَّاخليّ في جوفها، ممَّا تختلف فيها المواقع في أنحاء الأرض، وقد يكون بروز الجبال في مكانٍ من الأرض معادلاً لانخفاض الأرض في موضعٍ آخر، وقد يكون هناك أشياءُ أخرى، ممَّا يتمُّ به التَّوازن، ممَّا قد يكتشفه العلم بطريقةٍ أو بأخرى)

فضل الله، من وحي القرآن، ج١٢- ص ٢٤٤

٣- التوازن في الموارد: حيث وزع الله المياه، والأنهار، والنبات، والمعادن، بطريقة تحقق استمرارية الحياة، وفي الأيام الأخيرة كثُر الاهتمام بشؤون البيئة، وأدرك العلماء أهمية التوازن البيئي وأثره على حياة الكائنات من نبات وحيوان وإنسان، وبشكل خاص بعد الكميات الضخمة من الملوثات والتي أفرزتها حضارة القرن العشرين.فقبل عدة عقود لم يكن هنالك تلوث يُذكر، ولكن في السنوات الماضية زاد عدد المصانع في العالم وزاد عدد وسائل النقل وهذه تنتج كميات ضخمة من المواد الملوثة والتي تسبب أمراضاً خطيرة أهمها السرطان.هذا التلوث أثر بشكل كبير على الكائنات المائية كالأسماك، وكذلك على الحيوانات وكذلك على النباتات. ولكن من فضل الله تعالى ورحمته بخلقه أنه أودع في هذه النباتات وسائل لتنقية الهواء من المواد السامةفكما نعلم تستهلك النباتات لصنع غذائها وثمارها غاز الكربون من الهواء، وتجري في داخلها عملية تسمى بالتركيب الضوئي تركب من خلالها المادة الخضراء والتي يركب منها النبات الحبّ والثماربنتيجة هذه العملية يطلق النبات الأكسجين الذي يستفيد منه الإنسان في عملية التنفُّس. والعجيب أن كمية النباتات على وجه الأرض مناسبة لحجم الغلاف الجوي هنالك توازن دقيق بين ما يأخذه الإنسان وبين ما يطلقه النبات من الأكسجين. وتوازن آخر بين ما يطلقه الإنسان من غاز الكربون وبين ما يأحذه النبات من هذا الغاز. وسبحان الله! هذا التوازن الدقيق تحدث عنه القرآن في عصرٍ لم يكن هنالك أي علم عن توازن البيئة. يقول تعالى: (وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) [الحجر: ١٩].وانظر معي إلى دقة ألفاظ القرآن وتعابيره العلمية، وهذا يدل على أن هنالك ميزاناً لنسب النباتات على الأرض، ونسبة ما تمتصه من الكربون ونسبة ما تطلقه من الأكسجين. وهذه النسب قاسها العلماء حديثاً بكل دقة. وعلى سبيل المثال فإن نسبة الأكسجين في الغلاف الجوي هي

(٢١) بالمئة تقريباً. ولو زادت هذه النسبة لاحترقت الأرض مع أول شرارة، ولو نقصت هذه النسبة قليلاً لماتت الكائنات اختناقا أما نسبة غاز الكربون في الغلاف الجوي فهي أقل من (١) بالمئة. ولو زادت هذه النسبة لتسمَّمَ البشر وماتوا جميعاً، ولو نقصت لماتت النباتات وتوقفت الحياة. لذلك هنالك توازن دقيق في هذه النباتات وهذا ما تحدث عنه القرآنhttps://www.kaheel7.com/ar عبد الدائم الكحيل، اسرار الاعجاز العلمي والمعنى: والأرض بسطناها وطرحنا فيها جبالا ثابتة لتسكنها من الميد وأنبتنا فيها من كل شيء موزون – ثقيل واقع تحت الجاذبة أو متناسب – مقدارا تقتضيه الحكمة.الطباطبائي، الميزان، ج١٢ –ص١٣٩وكذلك قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ • فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾ (الرحمن: ١٠–١١) إنّ الكرة الأرضية التي ذكرت هنا بعنوان هبة إلهيّة مهمّة، و في آيات اخرى ذكرت بعنوان (مهاد) مأوى و مستقرّ للإنسان الذي لا يدرك قدرها غالبا في الحالات الاعتيادية، إلا أنّه في حالة حدوث تغيّر بسيط كزلزلة مدمّرة أو بركان بإمكانه أن يدفن مدينة بأكملها تحت المواد المذابة و عتمة الدخان و لهيب النار، هنا ندرك كم أنّ هدوء الأرض نعمة عظيمة، خصوصا إذا وضعنا الأرقام التي توصّل إليها العلماء أمامنا فيما يتعلّق بسرعة حركة الأرض حول نفسها و حول الشمس ، عند ذلك يتبيّن لنا أهميّة هذا الهدوء الكامن في أعماق هذه الحركة السريعة جدّا و التي هي ليست نوعا واحدا، بل أنواع مختلفة.الشيرازي، الأمثل، ج ١٧ ، ٣٧٦ و قد أثبت العلم الحديث أن جسم الإنسان يحتوي من العناصر ما تحتويه الأرض. فهو يتكون من الكربون، و الأكسيجين، و الإيدروجين، و الفوسفور، و الكبريت، و الآزوت، و الكالسيوم، و البوتاسيوم، و الصوديوم، و الكلور، و المغنسيوم، و الحديد، و المنجنيز، و النحاس، و اليود، و الفلورين، و الكوبالت، و الزنك، و السليكون، و الألمنيوم. و هذه نفسها هي العناصر المكونة للتراب. و إن اختلفت نسبها في إنسان عن الآخر، و في الإنسان عن التراب. إلا أن أصنافها واحدة .« عبد الرزاق نوفل، الله والعلم الحديث ، ص١٨٠، دار الشروق ١٩٩٨وكذلك قوله تعالى: (هُوَ اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اَلْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنٰاكِبِهٰا وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) (الملك – ١٥) وغيرها من الآيات الكثيرة التي تدل على التوازن في خلق الأرضكل هذه الآيات الكريمة تبين التوازن الموجود في الكرة الأرضية من ناحية الموارد والارزاق التي جعلها الله سبحانه وتعالى فيها لكي ينعم الانسان في هذه الحياة.

المبحث الثالث: الميزان الكوني في الخلق

يشيرالميزان الكوني في القرآن إلى وجود نظام وقوانين دقيقة تحكم الكون، كما يصفها القرآن الكريم، ويدعمها علم الفيزياء الحديثة في مجالات عديدة كالتوسع الكوني ونشأة الكون من نقطة واحدة في "الانفجار العظيم"و، يتجلى هذا الميزان في الانتظام الكوني، وتوازن القوى الفيزيائية، والمسار المحدد للأجرام السماوية، وهو ما تعكسه آيات قرآنية كريمة دلت على ذلك، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ*أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ • وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن:٧– ٨–٩)فسر صاحب الأمثل الميزان انه: (يشمل كلّ نظام تكويني و دستور اجتماعي، لأنّه وسيلة لقياس جميع الأشياءو «الميزان» لغة: (المقياس) و هو وسيلة لوزن الأجسام الماديّة المختلفة، إلا أنّ المقصود في هذه الآية، – و الذي ذكر بعد خلق السماء – أنّ لها مفهوما واسعا يشمل كلّ وسيلة للقياس بما في ذلك القوانين التشريعيّة و التكوينية، و ليس وسيلة منحصرة بقياس الأوزان الماديّة فقط.و من هنا فلا يمكن أن تكون الأنظمة الدقيقة لهذا العالم، و التي تحكم ملايين الأجرام السماوية بدون ميزان و قوانين محسوبة الشيرازي، الأمثل، ج ١٧ – ص٣٧٣ويضيف السيد فضل الله في تفسر الميزان:(يمتدُّ الضَّبط الإلهيُّ إلى العلاقات الإنسانيَّة أيضًا الَّتي جعل الله لها حدودًا، ووضع العدل ميزانًا لها، بحيث لا تخضع لهوًى، ولا يحرّكها انفعالٌ، بل تلتقي على قاعدة التَّوازن الَّتي خلق الإنسان على أساسها، في لقاء الجوانب المتعدِّدة في شخصيَّته على أساس التَّكامل والتَّداخل. وقد تكون مسألة الوضع للميزان شاملةً للضَّوابط الكونيَّة الَّتي أدخلها الله سبحانه في تكوين الأشياء، وفي نظام المخلوقات، بحيث راعى فيه التَّوازن بينها، فلا يطغى جانبٌ على جانبٍ، ولا موجودٌ على موجودٍ، فيمكن للموجودات أن تتحرَّك في عناصرها وخصائصها في حركة بعضها البعض، ولكنَّها تقف في حدود وجودها عند أساسٍ معيَّنٍ).فضل الله ، من وحي القرآن ، ج ١٨– ص ٩٥وكذلك قوله تعالى في بيان واحدة من الموازين العلمية لاتساع الكون، يقول الحق تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (الذاريات–٤٧) العلم الحديث [المعاصر] يقول ليست الكرة الأرضية وحدها تتضخّم و تثقل على أثر جذب المواد السماوية تدريجا، بل السماء أيضا في اتّساع دائم، أي أنّ بعض النجوم المستقرّة في المجرّات تبتعد عن مركز مجرّاتها بسرعة هائلة حتّى أنّ هذه السرعة لها أثرها في الاتّساع في كثير من المواقع. الشيرازي، الأمثل – ج١٧– ص١٢١هذه الآيتين وغيرها من الآيات المباركة تشير إلى أن التوازن هو أساس النظام الكوني كله وعليه خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون، وهذا هو الميزان الكوني في الكون وخلقه.

المبحث الرابع: خلق الإنسان بنظام متوازن

خلق الله الإنسان بنظام متكامل ومتوازن يجمع بين الجسد والعقل والنفس، بحيث تكون جميع أعضائه ووظائفه متناسبة لتحقيق الحياة والعمل والعبادة. فالإنسان خُلق في أحسن تقويم، مزوّدًا بالقدرات العقلية والجسدية والروحية التي تمكنه من إدراك الخير والشر، واتخاذ القرار الصائب، والتفاعل مع بيئته بطريقة متوازنة. وقد أكد القرآن الكريم على هذا التوازن في عدة مواضع من آياته الكريمة، منها:

١.خلق الإنسان في أحسن تقويم:خلق الله سبحانه وتعالى الأنسان بأبهى وأجمل صورة ممكنة للخلق، فوازن فيه في الخلق كل شيء ومنها توازن درجة الحرارة وتوازن السكر في الدم وتوازن الضغط والتنفّس وتوازن حواس الإدراك، يقول تعالى عن خلق الإنسان: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤) وفي هذه الآية الكريمة دلالة على أن جسم الإنسان وعقله وروحه متوازنة ومهيأة لكل وظائف الحياة، وهو مخلوق في أحسن تقويم وأفضل ما يكون، و(تقويم) يعني تسوية الشيء بصورة مناسبة، و نظام معتدل و كيفية لائقة، و سعة مفهوم الآية يشير إلى أنّ الله سبحانه خلق الإنسان بشكل متوازن لائق من كلّ الجهات، الجسمية و الروحية و العقلية، إذ جعل فيه ألوان الكفاءات، و أعدّه لتسلق سلّم السموّ، و هو – و إن كان جرما صغيرا – وضع فيه العالم الأكبر، و منحه من الكفاءات و الطاقات ما جعله لائقا لوسام.الشيرازي، الأمثل، ج ٢٠ –ص ٣١٠ وعَنْ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ قَالَ: (قِوَامُ اَلْإِنْسَانِ وَ بَقَاؤُهُ بِأَرْبَعَةٍ: بِالنَّارِ وَ اَلنُّورِ وَ اَلرِّيحِ وَ اَلْمَاءِ فَبِالنَّارِ يَأْكُلُ وَ يَشْرَبُ. وَ بِالنُّورِ يُبْصِرُ وَ يَعْقِلُ، وَ بِالرِّيحِ يَسْمَعُ وَ يَشَمُّ، وَ بِالْمَاءِ يَجِدُ لَذَّةَ اَلطَّعَامِ، وَ لَوْ لاَ أَنَّ اَلنَّارَ فِي مَقْعَدَتِهِ لَمَا هَضَمَتِ اَلطَّعَامَ وَ اَلشَّرَابَ، وَ لَوْ لاَ أَنَّ اَلنُّورَ فِي بَصَرِهِ لَمَا أَبْصَرَ وَ لاَ عَقَلَ، وَ لَوْ لاَ اَلرِّيحُ لَمَا اِلْتَهَبَ نَارُ اَلْمَعِدَةِ، وَ لَوْ لاَ اَلْمَاءُ لَمَا وَجَدَ لَذَّةَ اَلطَّعَامِ).الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٦٠٧

٣.التوازن بين العقل والجسم والنفس لقد خُلق الإنسان كيانًا متكاملاً يجمع بين العقل والجسم والنفس، بحيث لا ينفصل أحدها عن الآخر في بناء شخصيته وحياته، فالعقل أداة التفكير والإدراك والتمييز بين الحق والباطل، والجسم وسيلة العمل والحركة ومجال تحقيق الغايات، أما النفس أو الروح فهي مركز القيم والمشاعر والارتباط بالله تعالى. ومن هنا فإن التوازن بين هذه الأبعاد الثلاثة يعدّ أساسًا لتحقيق حياة مستقيمة متكاملة، إذ إن تغليب جانب على آخر يؤدي إلى اختلال شخصية الإنسان وابتعاده عن غايته التي خُلق من أجلها. وقد أكد القرآن الكريم والسنة الشريفة على هذا التوازن، فجعل العقل نور الهداية، والجسم وعاء الطاعة والعمل، والنفس مجال التزكية والسمو، وبذلك يتحقق الانسجام الداخلي للفرد، وينعكس أثره على المجتمع في صورة استقرار وعدل ورقي. قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) الشمس:٧–١٠) • يدل على أن النفس البشرية خُلقت في توازن داخلي بين الطموح والرغبات، وبين الخير والشر، وهي جزء من النظام المتكامل للإنسان أي نظمها و عدّل قواها ابتداء من الحواس الظاهرة و حتى قوّة الإدراك، و الذاكرة، و الانتقال، و التخيل، و الابتكار، و العشق، و الإرادة، و العزم و نظائرها من الظواهر المندرجة في إطار علم النفسلا الشيرازي، الأمثل، ج ٢٠– ص٢٣٥

المطلب الثاني: الأساس الأخلاقي

الأخلاق هي الركيزة الأساسية التي تحقق التوازن في حياة الإنسان، فهي توجه سلوكه الداخلي والخارجي وفق منهج متكامل بين الفرد والمجتمع والخالق. ويُعد الأساس الأخلاقي من أهم أبعاد قانون التوازن في القرآن الكريم، حيث يربط بين الفضائل الشخصية، والعلاقات الاجتماعية، والبعد الروحي، بما يضمن للإنسان اعتداله واستقامته.ويقوم هذا الأساس على ثلاثة محاور رئيسية: التوازن في القيم الفردية، والتوازن في العلاقات الاجتماعية، والتوازن في العلاقة مع الله تعالى. فالأول يهتم بضبط النفس وغرس الفضائل، والثاني يركز على العدل والإنصاف مع الآخرين، والثالث يضمن التوازن بين الخوف من الله والرجاء فيه، والاعتدال في العبادة والعمل.إن دراسة الأساس الأخلاقي تُظهر كيف أن القرآن الكريم وأهل البيت (ع) قد وضعا إطارًا متوازنًا لتربية الفرد اجتماعياً وروحياً وأخلاقياً، بما يحقق نموه المتكامل واستقراره النفسي والاجتماعي، ويُعد نموذجًا عمليًا لتطبيق التوازن في الحياة اليومية.والآن سنتطرق إلى هذه المحاور الثلاث:التوازن في القيم الفردية المبحث الأول:ويقصد به تهذيب النفس وضبط الغرائز بحيث يحقق الإنسان الفضائل الأخلاقية دون إفراط أو تفريط, ولا زيادة عن الحد المعقول ولا نقصان، ومن الأمثلة على تلك الفضائل: الصدق، الأمانة، العفة، ضبط الغضب، الاعتدال في الشجاعة والكرم، فكل هذه الفضائل والأخلاق لابد أن تدار تحت قاعدة التوازن، ومن دون ذلك سيكون إما افراط او تفريط وفي كلا الحالتين ستخرج هذه الفضيلة عن الحد الطبيعي. إن آيات القرآن الكريم مليئة بهذا التوجيه بالتوازن ومنها، قوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (الإسراء–٢٩) وجعل اليد مغلولة إلى العنق كناية عن الإمساك كمن لا يعطي و لا يهب شيئا لبخله و شح نفسه، و بسط اليد كل البسط كناية عن إنفاق الإنسان كل ما في وجده بحيث لا يبقى شيئا كمن يبسط يده كل البسط بحيث لا يستقر عليها شيء ففي الكلام نهي بالغ عن التفريط و الإفراط في الإنفاق الطباطبائي، الميزان ، ج١٣– ص٨٣ وهذا هو خطُّ التَّوازن في الإنفاق، فلا يريد الله للإنسان أن يمنع عطاءَه بحيث لا ينفق من ماله شيئًا، كمن تكون يده مقيَّدةً إلى عنقه، فلا ينزل منها شيءٌ لعدم قدرته على الإعطاء والبذل، وهذا على سبيل المبالغة في النَّهي عن البُخل والإمساك. (وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا كُلَّ اَلْبَسْطِ)، بحيث تعطي كلَّ ما لديك، فتكون

بمنزلة من بسط يده كلَّ البسط، ولم يبق له منه شيءٌ ليحتفظ به للمستقبل فضل الله، من وحي القرآن،ج ١١–ص٨٩ وإذا كانت مسألة التَّوازن في الإنفاق هي المطلوبة قرآنيًّا، من خلال علاقتها بما ينبغي للإنسان أن يوازن به حياته الفرديَّة والاجتماعيَّة، في حاجاته الخاصَّة وحاجات النَّاس منه، فإنَّ للمسألة في رفض التَّبذير جانبًا آخر يتَّصل بطبيعة الموارد الاقتصاديَّة في الأرض؛ باعتبار أنَّها تمثِّل الثَّروة الأرضيَّة للنَّاس بمستوى الكفاية، ممَّا أعدَّه الله من نعمةٍ لخلقه، على أساس تقدير الموارد على حسب الحاجات، من خلال طبيعتها، مقارنةً بحاجات النَّاس، الأمر الَّذي يفرض التَّوازن في تحريكها وصرفها، فلا تقوم جماعةٌ معيَّنةٌ من البشر بتبذيرها وصرفها في غير حقِّها، ما يؤدِّي إلى بقاء القسم الآخر من النَّاس بدون موردٍ في تلبية حاجاتهم فضل الله، من وحي القرآن،ج ١١–ص٩٠ ولعلَّ هذا هو ما أشار إليه الإمام عليّ (عليه السلام) في قوله المأثور عنه: (ما جاع فقيرٌ إلاَّ بما متِّع به غنيٌّ) نهج البلاغة، ص ١٩٧ وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١)تشير الآية الكريمة إلى التوازن بين الإفراط والتفريط في الحاجات الغذائية مثل الطعام والشراب، وهو أساس ما يقوم عليه جسم الإنسان. وهذا ايضاً نِّداء يوجِّه الله تعالى به الإنسان إلى منهجه، ليمارس من خلاله – حياته، في ما يحتاجه جسده من أكلٍ وشربٍ ولباسٍ وزينةٍ... ليقف من ذلك كلِّه في نقطة التَّوازن، فلا يتعقَّد من حاجات الحياة الطَّبيعيَّة، فيعتبرها قذرًا وخباثةً وحرامًا... من موقع الفكرة الَّتي ترفض مادِّيَّات الحياة جملةً وتفصيلاً، وتدعو إلى السُّموِّ نحو روحيَّاتها، ولا ينجذب إلى هذه الحاجات فيعتبرها قيمةً وطموحًا وهدفًا؛ بل يقف بين هذا وذاك، فيراها حاجةً طبيعيَّةً يحفظ بها جسده، ويصون بها حياته، فيمارسها في نطاق الحدود الَّتي فرضها الله ورسمها لعباده، فيميِّز بين ما يفسد الحياة من حوله فيتركه، وبين ما يصلحها أو لا يسيء إليها فيفعله.فضل الله، من وحي القرآن، ج ٧–ص٨٢ لقد اختار الإسلام – كسائر الموارد – حدّ التوسط و الاعتدال في مجال الانتفاع و الاستفادة من أنواع الزينة، لا كما يظن البعض من أنّ التمتع و الاستفادة من الزينة و التجمل – مهما كان بصورة معتدلة – أمر مخالف للزّهد، و لا كما يتصور المفرطون في استعمال الزينة و التجمل الذين يجوّزون لأنفسهم فعل كل عمل شائن بغية الوصول إلى هذا الهدف الرخيص.و لو أننا أخذنا بناء الجسم و الروح بنظر الاعتبار، لرأينا أنّ تعاليم الإسلام في هذا الصعيد تنسجم تماما مع خصائص الروح الإنسانية و بناء الجسم البشري و متطلباتهما، و احتياجاتهما الذاتية.الشيرازي، الأمثل ،ج ٥ –ص٢٣ وعن الإمام علي عليه السلام: (اعتدلوا فيما تحبون وتكرهون فإن الاعتدال أساس كل خير) (نهج البلاغة، حكمه ٧١ فإذن من خلال الآيات الكريمة الآنفة وروايات اهل البيت، يتبن أن يحث الفرد المسلم على التوازن في الفضائل التي توجد في داخلها، فلا ترتفع عنده الى حد الافراط ولا تنزل الى حد التفريط.التوازن في العلاقات الاجتماعية المبحث الثاني:إن الأساس القرآني للتوازن الأخلاقي في العلاقات الاجتماعية يستند إلى عدة مبادئ، أبرزها: العدل والإحسان، الرحمة والمودة، التواضع ونبذ الكبر، والتعاون على الخير، هذه المبادئ تُشكل منظومة متكاملة تضمن استقرار المجتمع وتماسكه وأمنه، وينبغي أن تبتني هذه المبادئ على التوازن في المعاملة.

١– العدل والإحسان: يُعتبر العدل أساسًا لا غنى عنه في كل التعاملات التي تجري في الحياة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)

هذه الآية تجمع بين العدل الذي هو إعطاء الحق لصاحبه، والإحسان الذي هو فضل فوق الواجب

إن العدل هو لزوم الوسط والاجتناب عن جانبي الإفراط والتفريط في الأمور وهو من قبيل التفسير بلازم المعنى فإن حقيقة العدل هي إقامة المساواة والموازنة بين الأمور بأن يعطى كل من السهم ما ينبغي أن يعطاه فيتساوى في أن كلا منها واقع موضعه الذي يستحقه،

الطباطبائي، الميزان، ج ١٢ – ص ٣٣١

والمجتمع الإنساني الذي هو جزء صغير في كيان هذا الوجود الكبير، لا يقوى أن يخرج عن قانون العدل، ولا يمكن تصور مجتمع ينشد السّلام يحظى بذلك دون أن تستند أركان حياته على أسس العدل في جميع المجالات ولما كان المعنى الواقعي للعدل يتجسد في جعل كل شيء في مكانه المناسب، فالانحراف والإفراط والتفريط وتجاوز الحد والتعدي على حقوق الآخرين، ما هي إلا صور لخلاف أصل العدل فالإنسان السليم هو ذلك الذي تعمل جميع أعضاء جسمه بالشكل الصحيح (بدون أية زيادة أو نقصان). ويحل المرض فيه وتتبيّن عليه علائم الضعف والخوار بمجرّد تعطيل أحد الأعضاء، أو تقصيره في أداء وظيفته الشيرازي، الامثل – ج٨ – ص٢٩٧ عن الإمام الصادق عليه السلام: (من عدل مع الناس ملك قلوبهم) (الوسائل، ج ١١، ص ١٤٤)يروى انه مضى الامام علي (عليه السلام) في حكومة إلى شريح مع يهودي، فقال: يا يهودي الدرع درعي ولم أبع ولم أهب، فقال اليهودي: الدرع لي وفي يدي، فسأله شريح البينة، فقال: هذا قنبر والحسين يشهدان لي بذلك، فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز لأبيه، وشهادة العبد لا تجوز لسيده وإنهما يجران إليك! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك يا شريح أخطأت من وجوه، أما واحدة فأنا إمامك تدين الله بطاعتي وتعلم أني لا أقول باطلا، فرددت قولي وأبطلت دعواي، ثم سألتني البينة فشهد عبد وأحد سيدي شباب أهل الجنة فرددت شهادتهما، ثم

ادعيت عليهما أنهما يجر أنهما يجران إلى أنفسهما، أما إني لا أرى عقوبتك إلا أن تقضي بين اليهود ثلاثة أيام! أخرجوه، فأخرجه إلى قبا فقضى بين اليهود ثلاثا، ثم انصرف، فلما سمع اليهودي ذلك قال: هذا أمير المؤمنين جاء إلى الحاكم والحاكم حكم عليه! فأسلم ثم قال: الدرع درعك سقطت يوم صفين من جمل أورق فأخذتها المجلسي، بحار الأنوار – ج ٤١ –ص ٥٧ هذه القصة ومثيلاتها تدل على أساس العدل الأخلاقي والتوازن في توزيع الحقوق مع الآخرين حتى على مستوى الكلمة الواحدة.

٢– الأمر بالتواضع والنهي عن الكِبرِيُعد التواضع من أهم القيم الأخلاقية التي دعا إليها القرآن الكريم، إذ يمثل أحد اهم اسس التوازن في سلوك الفرد وعلاقاته الاجتماعية، بينما يُعتبر الكِبر من أبرز أسباب الانحراف الأخلاقي والتباعد بين الناس. وقد حذّر الله تعالى في كتابه العزيز من مظاهر الاستعلاء والغرور، واعتبرها من صفات الجبابرة الذين لا مكان لهم في المجتمع المؤمن، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧). فالإنسان مهما بلغ من قوة أو جاه، يبقى محدودًا أمام عظمة الله وخلقه، مما يفرض عليه أن يسلك طريق التواضع والاعتدال إن التوازن الأخلاقي في الإسلام يقوم على الوسطية بين طرفي الذل والكِبر؛ فلا يذل المؤمن نفسه أمام الآخرين، ولا يتعالى عليهم بكبرياء، وإنما يسلك سلوكًا قوامه الوقار والتواضع، وهو ما يجسد القيم الإسلامية في بناء الفرد المتكامل والمجتمع المتماسك.

٣– الأمر بالتعاون على البر والتقوى تمثل الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢) قاعدة قرآنية شاملة في تنظيم العلاقات الاجتماعية، إذ ترسم منهجًا متوازنًا للتعاون بين الناس. فالقرآن لا يرفض مبدأ التعاون من حيث الأصل، بل يضع له إطارًا أخلاقيًا يحدد مجالاته الصحيحة، وهي التعاون على كل ما فيه خير وصلاح وبر وتقوى، مع النهي عن التعاون فيما يؤدي إلى الفساد والظلم والإثم. وهكذا يتحقق التوازن القرآني في بناء المجتمع؛ إذ يُشجع على التكافل والإصلاح، ويمنع في الوقت ذاته من دعم الباطل أو المشاركة في نشر الشرور والمشاركة في العدوان على الآخرين.ومعنى الآية ليعن بعضكم بعضاً على ما أمر الله به من البر والتقوى، ولا يعن بعضكم بعضاً على الإثم والعدوان. وفيه دلالة على أن التعاون قد يكون محموداً إذا كان في الخير، ومذموماً إذا كان في الشر، فميز القرآن بين الطرفين تحقيقاً للتوازن في سلوك الإنسان والمجتمع"ينظر: الطبرسي، مجمع البيان، ج٣، ص ٢٤٠ يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الآية الكريمة: يعود معنى التعاون على البر والتقوى إلى الاجتماع على الإيمان والعمل الصالح على أساس تقوى الله، وهو الصلاح والتقوى الاجتماعيان، ويقابله التعاون على الإثم الذي هو العمل السيئ المستتبع للتأخر في أمور الحياة السعيدة، وعلى العدوان وهو التعدي على حقوق الناس الحقة بسلب الأمن من نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم الطباطبائي، الميزان – ج٥ – ص١٦٣وهذا هو عين التوازن والاعتدال في التشريع الإسلامي فيما يخص التعاون بين الناس. التوازن في العلاقة مع الله تعالى المبحث الثالث: يمثل التوازن في العلاقة مع الله تعالى جوهر البعد الروحي في شخصية الإنسان المؤمن؛ إذ لا يقتصر على جانب العبادة الشكلية، ولا ينحصر في الانشغال بأمور الدنيا المادية، بل يقوم على الاعتدال الذي يجمع بين طاعة الله وعمارة الأرض، وبين الخوف من عقابه والرجاء في رحمته، والاعتدال في العبادة وعدم الغلو. فالقرآن الكريم رسم منهجًا وسطًا يبتعد عن الغلو والتقصير، ليحقق للإنسان صفاء الروح واستقامة السلوك، وبذلك يكون الإيمان متوازنًا ومعتدل يربط بين الدنيا والآخرة في إطار واحد متكامل من جوانبه.

١– التوازن بين العبادة والعمل الدنيوي يُعد التوازن بين العبادة والعمل الدنيوي من أبرز صور التوازن الروحي في القرآن الكريم، حيث يدعو الإسلام إلى الجمع بين طلب الآخرة والسعي لمتطلبات الدنيا، فالإنسان مكلَّف بعبادة الله وطاعته، ولكنه في الوقت نفسه مأمور بعمارة الأرض والسعي في كسب الرزق الحلال. وقد جاء التعبير القرآني واضحًا في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧)، ليؤكد على عدم الفصل بين البعدين: الروحي والمادي، بل مزجهما في نسق متكامل يحقق سعادة الإنسان في الدارين وبذلك يقف التَّوجيه الإسلاميُّ في خطِّ التَّوازن في حركة الممارسة الاقتصاديَّة، بين الجانب المادِّيِّ الَّذي يمثِّل حاجة الإنسان كجسدٍ، للاكتفاء الذَّاتيِّ من متع الحياة، وبين الجانب الرُّوحيِّ الَّذي يمثِّل حاجة الإنسان كروحٍ ترغب في الحصول على الاستقرار في الدَّار الآخرة ونعيمها في رضا الله فضل الله، من وحي القرآن، ج ١٤– ص١٦٩

٢– التوازن بين الخوف والرجا إن التوازن بين الخوف والرجاء من أبرز أبعاد العلاقة المتوازنة بين الإنسان وربه، وهو يعكس نضج الوعي الروحي والإيماني. فالخوف من عقاب الله يحفظ الإنسان من المعاصي والابتعاد عن الطريق المستقيم، بينما الرجاء في رحمته يشجعه على الاستمرار في الطاعة والاعتماد على فضل الله، دون يأس أو قنوط، وهذا هو التوازن والاعتدال الذي يرسمه لنا الدين الإسلامي في العقة مع الله سبحانه وتعالى. وقد جاء هذا التوازن واضحًا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (السجدة: ١٦)لتأكيد أن المؤمن المتوازن يجمع بين هذين الشعورين: خوف من العقوبة، ورجاء في المغفرة والرحمة، بحيث لا يهيمن جانب على الآخر، ولا يؤدي إلى إفراط أو تفريط في العلاقة مع خالقه ورازقه وبارئه.يقول صاحب الأمثل في تفسير الآية: وهنا تذكر الآية صفتين أخريين لهؤلاء هما: «الخوف» و «الرجاء»، فلا يأمنون غضب الله عزّ

وجلّ، ولا ييأسون من رحمته، والتوازن بين الخوف والرجاء هو ضمان تكاملهم وتوغّلهم في الطريق إلى الله سبحانه، والحاكم على وجودهم دائما، لأنّ غلبة الخوف تجرّ الإنسان إلى اليأس والقنوط، وغلبة الرجاء تغري الإنسان وتجعله في غفلة، وكلاهما عدوّ للإنسان في سيره التكاملي إلى الله سبحانه.الشيرازي، الأمثل، ج ١٣ – ص١٢٤

٣- الاعتدال في العبادة وعدم الغلو إن الاعتدال في العبادة من أبرز المبادئ القرآنية التي تحقق التوازن الروحي للإنسان، إذ يدعو الإسلام إلى الوسطية والبعد عن الإفراط والتفريط في طاعة الله، فالغلو في العبادة قد يؤدي إلى الإرهاق النفسي والجسدي والتشدد الذي يبعد الإنسان عن مقاصد الدين الحقيقية، بينما التفريط يفضي إلى التهاون والابتعاد عن حقوق الله وواجبات العباد، وقد جاء الأمر القرآني الصريح لأهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (النساء: ١٧١) لتأكيد ضرورة الاعتدال، ورفض كل أشكال الغلو أو التطرف في العبادة، بحيث يكون الإنسان متوازناً بين حق الله وحق نفسه وحق المجتمع. لقد كانت قضية الغلو في حق القادة السابقين إحدى أخطر منابع الانحراف في الأديان السماوية، فالإنسان بما أنّه يميل إلى ذاته يندفع بهذا الميل إلى إظهار زعمائه و قادته بصورة أكبر ممّا هم عليه، لكي يضفي على نفسه الأهمية و العظمة من خلال هؤلاء القادة، و قد يدفع الإنسان التصور الواهي بأن الإيمان هو المبالغة و الغلو في احترام و تعظيم القادة – إلى الوقوع في متاهات هذا النوع من الانحراف الرهيب، و الغلو في أصله ينطوي على عيب كبير يفسد العنصر الأساسي للدين – الذي هو عبادة الله و توحيده – و لهذا السبب فقد عامل الإسلام الغلاة أو المغالين بعنف و شدّة، إذ عرفت كتب الفقه و العقائد هذه الفئة من الناس بأنّهم أشد كفرا من الآخرين.الشيرازي، الأمثل، ج٣- ص٥٤٦هذه التطبيقات الثلاث تدل على الأساس الثاني للتوازن في القرآن الكريم وهو الأخلاقي، فقد رسمت لنا الآيات الكريمة التوازن الأخلاقي مع النفس والمجتمع والخالق عزوجل.

المبحث الثالث: الأساس الكلامي

لقد اعتنى القرآن الكريم ببناء العقيدة على نحوٍ يضمن التوازن والاعتدال، إذ لا يقتصر مفهوم التوازن على الجوانب العلمية أو الأخلاقية فحسب، بل يتجذّر في البنية الكلامية التي يقوم عليها الإيمان الحق. فالاعتقاد بالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد يشكّل الإطار العقائدي المتكامل الذي يحفظ انسجام رؤية الإنسان للكون والحياة. ومن دون هذا الأساس الكلامي يفقد التوازن معناه العميق، لأن العقيدة هي التي توجّه العلم وتضبط الأخلاق.فالتوحيد يرسّخ وحدة النظام الكوني، والعدل الإلهي يضع القيم في مواضعها، والنبوة والإمامة تضمنان استمرار الهداية وحفظ المجتمع من الانحراف، والمعاد يذكّر الإنسان بمسؤوليته الأخروية فلا يطغى ولا يفرّط. ومن هنا يظهر أن التوازن في القرآن الكريم ليس مجرد قيمة أخلاقية أو قانون علمي، بل هو منظومة عقائدية متكاملة، تعبّر عن سنّة إلهية كبرى تهدف إلى بناء الفرد والمجتمع على نهج الاعتدال.المطلب الأول: التوازن في التوحيد يُعَدّ التوحيد الركيزة الأساسية التي يقوم عليها البناء العقدي في الإسلام، وهو الأصل الذي تتفرّع منه سائر المعارف الدينية. وقد عرض القرآن الكريم عقيدة التوحيد بوصفها أساس التوازن في الوجود، إذ إن الاعتقاد بتعدّد الآلهة يستلزم الفوضى والفساد، بينما الإيمان بإله واحد حكيم عليم هو الذي يحفظ النظام الكوني من الاختلال. قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢)ومن هذا المنطلق، فإن التوحيد لا يقتصر على كونه فكرة نظرية، بل يمتد أثره ليشكّل قاعدة في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، إذ ينعكس على سلوكه وقيمه وممارساته، فيوازن بين الروح والجسد، والعقل والعاطفة، والدنيا والآخرة. فمن خلال التوحيد يتحرر الانسان من عبودية غير الحق تعالى، ويتوازن الانسان داخلياً ويكون منسجما مع نفسه والكون الذي يعيش فيه. وكذلك وحدة الخالق تؤدي الى حفظ النظام، يقول الحق تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (المؤمنون: ٩١) زبدة الكلام ما نجده بوضوح من سيادة نظام موحّد لساحة الوجود كلّه فالقوانين السائدة لهذا العالم في أرضه وسمائه واحدة، والنظام الحاكم لذرّة واحدة هو ذاته يحكم المجموعة الشمسيّة المنظومات الكبيرة، ولو أتيحت لنا صورة مكبّرة لذرّة واحدة لحصّلنا على شكل المنظومة الشمسيّة، والعكس صحيح.وقد برهن العلماء في تجاربهم في مختلف العلوم، باستخدام أدقّ الأجهزة وأحدثها على وحدة النظام السائد لهذا العالم كلّه. ومن جهة أخرى إنّ الاختلاف والتباين يلازمان التعدّد دوما، فلو تشابهت صفات شيئين تمام التشابه لكانا شيئا واحدا، إذ لا معنى لثنائيتهما عندئذ، ولو فرضنا لهذا العالم آلهة عديدة لوقع أثر هذا التعدّد على مخلوقات العالم والنظام الحاكم له، ولا نتفت وحدة نظام الخلق.الشيرازي، الأمثل، ج ١٠- ص٤٩٧إذن لو كان هناك آلهة متعددة لوقع النزاع والفساد في الكون، لكن وحدانية الله تحفظ وحدة النظام وتوازنه من النزاع والتدمير.

المطلب الثاني: التوازن في العدل الإلهي

العدل الإلهي أحد الأصول العقائدية الكبرى في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو المبدأ الذي يقوم عليه نظام الكون والحياة الإنسانية. فالعدل لا يقتصر على كونه صفة من صفات الله تعالى، بل هو سنّة كونية وميزان ربّاني يحفظ التوازن بين المخلوقات، ويضمن انسجام النظام التشريعي

والتكويني. ومن هنا يظهر أن الإيمان بعدل الله هو الذي يبعث في النفس الاطمئنان واليقين بأن هذا العالم ليس عبثًا، وأن أفعال الله تعالى منزّهة عن الظلم والجوروقد أكّد القرآن الكريم هذا الأصل في مواضع متعددة، منها قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام: ١١٥) أي أن ما شرّعه الله من أحكام قائم على الصدق والعدل المطلق.(وَعَدْلاً) فيما تمثّله من التّوازن بين خطِّ الدُّنيا وخطِّ الآخرة، وبين جانب المادَّة وجانب الرُّوح، ومن التّوازن بين شخصيَّة الملاك وشخصيَّة البشر في الإنسان، وفي الشَّخصيَّة الفرديَّة والشَّخصيَّة الاجتماعيَّة له، وفي المصلحة العامَّة والمصلحة الخاصَّة. وهكذا يتحرَّك في حقوق النَّاس فيما يختلفون فيه ويتَّفقون عليه، في حياتهم الدَّاخليَّة والخارجيَّة. وهكذا رأينا القرآن في أكثر من آيةٍ يؤكِّد على العدل في الكلمة، والشَّهادة، والحكم، والمعاملة، وفي الحياة الزَّوجيَّة، وفي الصُّلح بين النَّاس، وفي الحرب والسِّلم، وفي كلِّ شيءٍ، حتَّى اعتبر القيام بالقسط – أي: العدل – هدف كلِّ الرِّسالات وكلِّ الرُّسل.فضل الله، من وحي القرآن، ج ٦– ص٢٥٦وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧) بيان أن العدل والانصاف هو أساس الحساب يوم القيامة.يقول صاحب تفسير في ظلال القرآن: والحبة من خردل تصور أصغر ما تراه العيون وأخفه في الميزان، وهي لا تترك يوم الحساب ولا تضيع.والميزان الدقيق يشيل بها أو يميل! فلتنظر نفس ما قدمت لغد. وليصغ قلب إلى النذير. وليبادر الغافلون المعرضون المستهزءون قبل أن يحق النذير في الدنيا أو في الآخرة. فإنهم إن نجوا من عذاب الدنيا فهناك عذاب الآخرة الذي تعد موازينه، فلا تظلم نفس شيئا، ولا يهمل مثقال حبة من خردل.وهكذا ترتبط موازين الآخرة الدقيقة، بنواميس الكون الدقيقة، بسنن الدعوات، وطبائع الحياة والناس. وتلتقي كلها متناسقة موحدة في يد الإرادة الواحدة مما يشهد لقضية التوحيد وهي محور السورة الأصيل.من هذه الآيات ينبين أن العدل الإلهي ليس مجرد مبدأ نظري، بل هو قاعدة للتوازن الكوني والاجتماعي والأخروي، إذ يحفظ وحدة النظام الكوني، ويضبط مسيرة الإنسان في الدنيا، ويضمن تحقق الجزاء الحق في الآخرة. الشاذلي، في ظلال القرآن، ج ٤ – ص٢٣٨١

المطلب الثالث: التوازن في النبوة

تمثّل النبوة أحد أهم ركائز البناء العقائدي في الإسلام، وهي الامتداد الطبيعي للتوحيد والعدل، إذ إن الله سبحانه لم يترك الإنسان مهملاً، بل أرسل إليه أنبياء يهدونه إلى سواء السبيل. والنبوة في حقيقتها تجسيد لمبدأ التوازن بين متطلبات الروح والجسد، والدنيا والآخرة، والعقل والوحي. فالنبي يقوم بدور المربّي والهادِي الذي يضبط حركة الإنسان، فلا ينحرف إلى الإفراط في المادة، ولا إلى الغلو في الروحانية.وقد أكّد القرآن الكريم هذا المعنى في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥) بيان أن الرسالات الإلهية تهدف إلى إقامة التوازن الاجتماعي بالعدل، ويفسر العلامة فضل الله الميزان انه: (وَٱلْمِيزَانَ) الَّذي يمثِّل الخطَّ الفكريَّ والعمليَّ الَّذي يزن القضايا والأوضاع والمواقف والكلمات، ليمنعها من الاختلال والانحراف عن الخطِّ المستقيم، فيعرف كلُّ إنسانٍ من خلال ذلك دوره العمليَّ، في ما له وما عليه من الحقوق والواجبات تجاه ربِّه ونفسه وحياة النَّاس من حوله، ويتصوَّر، على هذا الأساس، أنَّ الحياة ليست هي السَّاحة الَّتي يتحرَّك فيها الفرد في أنانيَّته الذَّاتيَّة في ما قد يتخيَّله من أنَّه هو وحده صاحب الحقّ في كلِّ مواقعها؛ بل هي السَّاحة الَّتي يملك فيها كلُّ إنسانٍ موقعًا خاصًّا في ما يريد أن يأخذ من أوضاعها العامَّة والخاصَّة، فيدرك أنَّها تتَّسع له وللآخرين من موقع الحقّ الثَّابت للجميع، في علاقاتهم ببعضهم البعض وبالحياة من حولهم، ليتحوَّل ذلك إلى واقعٍ عمليٍّ يحقِّق للحياة نظامها المتوازن الَّذي يحفظ لها سلامة وجودها في دائرة التَّكامل العمليّ.فضل الله، من وحي القرآن، ج١٨ – ص ١٩١–١٩٢ وقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥) وفيه دلالة على موازنه الأنبياء بين البشارة والإنذار، ليقودوا الناس بالاعتدال إلى الطريق القويم، ويكونوا حجتاً عليهم امام الله سبحانه وتعالى في إيصال الرسالة. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) الرسالة المحمدية تمثل الرحمة المتوازنة التي تعمّ جميع البشرية دون استثناء او قيد، وتضع الناس في ميزان واحد بدون تميز .وتتميز رسالة نبينا الأكرم (ص) بأنها رحمة للعالمين جميعا سواء الأبيض أو الأسود، العربي والأعجمي، والفقير والغني، والرجال والنساء، وأنها – كما السحب الهطول، كما أشعة الشمس، كما سائر نعم الله – تشمل الجميع بلا استثناءولأنها رحمة للعالمين، فان الله سبحانه وتعالى يريدها تسود العالم جميعا حتى تكون وراثة الأرض كلّ الأرض للصالحين التابعين لهذه الرحمة وهذه بشرى لا بدّ أن يسعى كلّ مؤمن لتحقيقها.المدرسي، من هدى القرآن، ج٧ – ص ٣٩١ومن هنا يتضح أن النبوة ليست مجرد إخبار عن الغيب أو نقل للأحكام، بل هي منظومة متكاملة لتحقيق التوازن في حياة الإنسان، وضمان استقامة المجتمع على قيم العدل والرحمة والاعتدال والتوازن.

المطلب الرابع: التوازن في الإمامة

الإمامة في الفكر الشيعي ليست مجرد منصب سياسي، بل هي استمرار للنبوة في حفظ النظام الروحي والاجتماعي، وضمان التوازن بين القيم الروحية والأحكام الشرعية والتدبير الإنساني. فالإمام هو الهادي المعصوم الذي يوجه الأمة إلى الصراط المستقيم، ويضمن أن لا ينحرف الناس عن

الحق سواء بالغلو أو التفريط، وأن تُحفظ مقاصد الشريعة الإلهية في جميع شؤون الحياةوقد أكد القرآن الكريم على دور القيادة الإلهية في تحقيق التوازن في الحياة من خلال نصوص عامة تشير إلى الإمامة والولاية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥) يدل على أن القيادة الروحية ترتبط بإقامة الدين وتحقيق العدل الإلهي.والَّذين آمنوا هم أولياء المؤمنين؛ لأنَّهم يُمثِّلون الإخلاص لله في ما تُمثِّله الصَّلاة الَّتي يقيمونها من روح الإخلاص وشعاره، وفي ما تُمثِّله الزَّكاة الَّتي يؤتونها كتعبيرٍ عن روحيَّة العطاء المنسابة من إنسانيَّة الإيمان النَّابض في روح الإنسان المؤمن وقلبه، ولا سيَّما وأنَّهم يؤدُّونها وهم راكعون لله، كأسلوبٍ من أساليب المزج العمليّ بين عبادة العطاء وعبادة الخضوع، في ما يوحيه ذلك من معنى العبادة الَّذي لا يتمثَّل في حركة الشَّكل التَّقليديّ للعمل العباديّ، بل يمتدُّ ليتحوَّل إلى عنصرٍ من عناصر الخير الفاعل في حياة النَّاس الآخرين المحتاجين للعطاء.فضل الله، من وحي القرآن، ج ٥ – ص ٢٠٤ وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨) مبدأ التشاور والتنظيم في المجتمع كجزء من توازن الحكم والتشريعات والقوانين التي تصدر من الحاكم. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) إيحاء إلى أن القيادة الصالحة تحفظ العدل وتوازن المصالح البشرية.عن الإمام علي (ع): «لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر» (الريشهري، محمد ، ميزان الحكمة ، ج١– ص٩٨)وجود القيادة الإلهية يضمن عدم انحراف المجتمع، وحفظ التوازن بين الحقوق والواجبات ومن خلال هذه الآيات يتضح أن الإمامة تضمن اتزان المجتمع، وتحافظ على استمرارية الهداية والعدل، بحيث يكون الفرد والمجتمع متوازنين في حقوقهم وواجباتهم، وفي علاقتهم مع الله ومع الناس.

المطلب الخامس : التوازن في المعاد

الإيمان بالمعاد أحد الركائز الأساسية في العقيدة الإسلامية، ويشكّل الضابط الأخلاقي والسلوكي للإنسان، إذ يجعل أفعاله موزونة بين الحق والباطل، ويوازن بين متطلبات الدنيا وواجبات الآخرة. فالمعاد ليس مجرد عقوبة أو جزاء، بل هو منظومة متكاملة للتوازن الإلهي، حيث يقيم الله بها الموازين ويجازي كلّ نفس بما تستحق، فلا يُظلم أحد، ولا ينقص من حق احد.وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في العديد من الآيات: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ (الأنبياء: ٤٧) والآية الكريمة توضح أن العدل يوم القيامة قائم على موازين دقيقة تحقق التوازن بين اعمال الخلق، فلا يوجد ظلم او اعتداء على حق الناس، وأن كل واحد يأخذ استحقاقه من الرحمة أو العذاب. وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧–٨) ودلالة الآية الكريمة على أن كلّ عمل مهما صغر أو كبر له أثر واضح في حساب الإنسان يوم القيامة، مما يحفظ التوازن بين الأسباب والنتائج.وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَقْسَمَ بِالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَأَنَّهُ هُوَ أَلْحَقَ وَهَدَى﴾ (القيامة: ١–٢) الإيمان باليوم الموعود يوازن بين سلوك الإنسان ونهاية أفعاله. ومن هنا يتضح أن المعاد يقيم ميزان العدل الإلهي ويضمن أن الإنسان يتصرف وفق القيم الأخلاقية والروحية، ويحقق التوازن بين الدنيا والآخرة، وبين الواجبات الفردية والاجتماعية.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى أن قانون التوازن في القرآن الكريم يمثل أحد القوانين الإلهية الأساسية التي تنظم الكون وحياة الإنسان والمجتمع. فقد أظهر التحليل القرآني أن هذا القانون ليس مجرد مفهوم نظري أو قيمة أخلاقية، بل هو سنة إلهية ثابتة وسلوك شامل ينطبق على جميع مستويات الوجود: الكوني، الإنساني، والاجتماعي، ويعكس حكمة الله وعدله في الخلق والتشريع.وقد بينت الدراسة أن الأسس القرآنية لقانون التوازن تتجلى في أبعاد متعددة: البعد العلمي والكوني، من خلال التوازن في الخلق والأجرام السماوية والقوانين الطبيعية الثابتة البعد الأخلاقي والسلوكي، من خلال التوازن النفسي والروحي للإنسان، واعتدال سلوكه تجاه نفسه والمجتمع وخالقه. البعد الكلامي والعقائدي، من خلال التوازن في أصول العقيدة مثل التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد.وتؤكد الدراسة أن فهم هذه الأسس يتيح للإنسان إدراك حكمة الله في سننه الكونية وتشريعاته، ويعزز من قدرته على السير في حياته بطريقة متوازنة وعادلة، محققًا الاستقرار والاعتدال في جميع جوانب الوجود.في ضوء ما تقدم، يمكن القول إن دراسة الأسس القرآنية لقانون التوازن تمثل جسرًا مهمًا بين النص القرآني والواقع الحياتي، وتعد مرجعًا أساسيًا لفهم سنن الله في الكون والحياة، كما أنها دعوة للتأمل في قدرة الله وعظمته في تنظيم الكون وتحقيق الاعتدال في كل شيء.

نتائج البحث:

١– القرآن يؤكد على التوازن كقانون إلهي شامل أظهرت الدراسة أن القرآن الكريم يجعل من التوازن مبدأ أساسيًا في الخلق، التشريع، والعلاقات الإنسانية، موضحًا أن هذا القانون يعكس حكمة الله وعدله في الكون والحياة.

٢– تعدد أبعاد قانون التوازن، توصل البحث إلى أن قانون التوازن في القرآن له أبعاد متعددة

- البعد العلمي والكوني: يظهر في دقة الخلق، توازن الأرض والسماء، حركة الأجرام السماوية، والقوانين الطبيعية الثابتة.

• البعد الأخلاقي والسلوكي: يتجلى في التوازن النفسي والروحي للإنسان، والاعتدال في سلوكه تجاه نفسه، والمجتمع، وخالقه.

• البعد الكلامي والعقائدي: يتجلى في التوازن في أصول العقيدة مثل التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد.

٣- تطبيق القانون يحقق الاستقرار والاعتدال أثبتت الدراسة أن تطبيق هذا القانون على جميع مستويات الحياة يحقق استقرارًا نفسيًا واجتماعيًا وكونيًا، ويمنع الإفراط والتفريط في التعاملات الفردية والجماعية.

٤- فهم الأسس القرآنية يعزز إدراك سنن الله أظهرت النتائج أن دراسة هذه الأسس تساعد الإنسان على فهم سنن الله في الكون والحياة،

٥- نداء للتأمل والتطبيق خلص البحث إلى أن دراسة قانون التوازن في القرآن تشكل دعوة للتأمل في قدرة الله وعظمته، وتشجع على تطبيق

المصادر والمراجع:

ـالقرآن الكريم.

١- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، ط١

٢- الطباطبائي، محمد حسين، النشر: مؤسسة الاعلمي، ط٣ ، بيروت

٣- الشاذلي، سيد قطب، في ظلال القرآن، النشر: دار الشروق، سنة النشر: ١٤٠٨، ط الخامسة عشر

٤- الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الناشر: مدرسة الامام علي ع،قم المقدسة، ط ١

٥- السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، الناشر، مؤسسة الامام الصادق(ع) ، قم المقدسة، ط٣، ١٤٤

٦- فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، النشر: دار الملاك، بيروت، ١٤٣٩، ط٣

٧- الحويزي، عبدالله بن جمعة، تفسير نور الثقلين، الناشر: اسماعيليان، قم المقدسة، ١٤١٥، ط٤

٨- المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، الناشر: دار محبي الحسين(ع)، طهران، ١٤١٩، ط١

٩- نوفل، عبد الرزاق، الله والعلم الحديث، دار الشروق، ١٩٩٨

١٠- الطبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، النشر: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨، ط٢

١١- إبن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط٣، دار صادر – بيروت– لبنان ١٤١٤

١٢-المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق:جمع من المحققين، ط٢، ١٤٠٣

١٣- عبدة، محمد، نهج البلاغة، الناشر: دار الجوادين، ١٤٣١، ط١

١٤- الطريحي، فخرالدين، مجمع البحرين، ١٤٠٨، ط٢

١٥- العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، الناشر: مؤسسة أهل البيت ع قم المقدسة، ١٤٠٦

almasadir walmarajieu:

-alquran alkarim.

1- alriyshihri, muhamadu, mizan alhikmati, dar alhadithi, ta1

2- altabatabayiy, muhamad husayn, alnashra: muasasat alaelami, ta3 , bayrut

3- alshaadhli, sayid qutb, fi zilal alqurani, alnashra: dar alshuruq, sanat alnashr: 1408, t alkhamisat eashar

4- alshiyrazi, makarmi, al'amthal fi tafsir kitab allah almunzili, alnaashir: madrasat alamam eali ea,qam almuqadasati, t 1

5- alsubhani, jaefari, mafahim alqurani, alnaashir, muasasat alamam alsaadiqi(ea) , qim almuqadasati, ta3, 144

6- fadl allah, muhamad husayn, min wahy alqurani, alnashra: dar almalaki, bayrut, 1439, ta3

7- alhwizi, eabdallah bin jumeat, tafsir nur althiqlayni, alnaashir: asmaeilyan, qim almuqadasati, 1415, ta4

8- almadrasi, muhamad taqi, min hudaa alqurani, alnaashir: dar muhibiy alhusayn(ea), tahran, 1419, ta1

9- nufila, eabd alrazaaqi, allah waleilm alhadithi, dar alshuruq, 1998

10- altabarsi, fadl bin hasana, majamae albayan fi tafsir alqurani, alnashra: dar almaerifati, bayrut, 1408, ta2

11- 'iibin manzuri, muhamad bin makram bin eulay, lisan alearabi, ta3, dar sadir - bayrut- lubnan 1414

12-almajlisay, muhamad baqir bin muhamad taqi, bahaar al'anwar aljamieat lidarar 'akhbar al'ayimat al'athari, tahqiqu:jamae min almuhaqiqina, ta2, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut- lubnan, 1403

13- eabadatu, muhamad, nahj albalaghati, alnaashir: dar aljawadini, 1431, ta1

14- altariahi, fakhiraldiyn, majamae albahrayn, 1408, ta2

15- aleamili, muhamad bin hasan, wasayil alshiyeat 'iilaa tahsil alsharieati, alnaashir: muasasat 'ahl albayt e qim almuqadasati, 1406